النزعة الاغترابية في أدب السّجون (إطلالات ونماذج)

Exile in prison literature (views and models)

صامت بوحايك أمينة*

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)

sametbouhaikamina@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/03 تاريخ القبول: 2021/11/22 تاريخ النشر: 2021/12/30

ملخص:

يعدّ أدب السّجون علامة فاصلة في تاريخ الشّعرية العربية لما يتسم به من صدق في تصوير تجارب حية مع السّجن والسجان وما يفصح به من مشاعر وانفعالات الذّات المسجونة، وما تعانيه مع فضاء الزنزانة وما تكابده من آلام ، وبذلك شكل نظرة خاصة تكشف حقائقه وكيفية سير الحياة فيه سواء بمعايشة الوضع أو الكتابة عن شخصية ما عايشت هذا الوضع.

ومنه تسعى هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن القصائد المختلفة التي كتبت في السجن وتمثيل المشاعر المختلفة التي عبرت عنها.

كلمات مفتاحية: السجن، الحنين، الغربة، الأدب العربي القديم، أدب السجون.

Abstract:

Prison literature is considered a milestone in the history of Arabic poetry because of its sincerity in depicting vivid experiences with the prison and the jailer, and the feelings and emotions of the imprisoned self, and what it suffers with the space of the cell and the pain it suffers.Whether living the situation or writing about a character who experienced this situation.

Hence, this research paper seeks to reveal the various poems that were written in prison and to represent the varison feelings that expressed them.

* المؤلف المرسل

Keywords: Prison, prison literature, alienation, nostalgia, ancient Arabic literature.

1- مقدمة:

تزدهر الحياة الإنسانية الاجتماعية بالعديد من الميولات النفسية التي يمثلها كل فرد منها، لذلك وجب تحديد المستويات التي يجب على الفرد مراعاتها في ذلك في حياته، فحددت مجموعة قواعد ونظّم تحكم طريقة سير حياته الاجتماعية من قبل أطراف ومعنيين حتى لا تكون هناك فوضى في طريقة التسيير، فوجد العقّاب لمن يخرج عن هذه القوانين من مفسدين ومجرمين، وجعل جزاءها السّجن وعقاب" المجرم هو واجب وحق لو لم تكن له نتيجة غير جزاء العمل بمثله ومقابلة الأضرار بالأضرار فإن العدل البديهي يأمر بأن من يؤلم يتألم ومن يسيء يسأ، والضمير الإنساني يأبى أن يرى شقيًا معذبًا"[1].

إذ تمتد فكرة السّجن في تاريخ الإنسانية قبل آلاف السنين، ففي العصور القديمة عدّت المكان المخصص لاعتقال الأسرى نتيجة الحروب بين الشعوب المختلفة العرقيات أو المحكوم عليهم بالموت ثم أصبح مكانًا للتخلّص من بعض الأفراد نتيجة لتوجهاتهم الفكرية والعرقية التي تقف في وجه السلطات العليا أو الحاكمة مما يعرقل نظام الدولة الحاكمة وسيرها بطريقة حسنة، ومع بزوغ حيثيات العصر الحديث أصبح السّجن مكانًا للعقاب وتنفيذ القانون لمن يخالفون القوانين الانضباطية في الدولة، وكان الغرض منه إصلاح المجرم وحماية المجتمع من النتائج التي تحققها الحرية الزائدة للفرد وحتى يكون العدل والمساواة بين أفراد المجتمع وسير الحياة بطريقة نظامية[2].

ومنه يتضح مفهوم السّجن في أنّه " تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه"[3]، أو هو كما يعرفه عباس محمود العقاد " دار إصلاح أو مكان لتسديد حساب ظالم أو باغٍ متسلط" [4]، نتيجة خروجه عن القوانين العامة التي تحكم محيطه الذي يعيش فيه، فيكون عقابه عن ذلك حرمانه من بعض حقوقه كالخروج إلى أعماله والتحكم في حياته، فيصبح مسيرًا من قبل سلطات عليا عليه تحكمه في خصوصياته الحياتية.

ومن هذا المنطلق يهدف هذا البحث إلى الإجابة على مجموعة من الإشكاليات والتي تتمثل في: كيف تمثلت تجربة السجن في الشعر العربي القديم والحديث؟ وما هي أهم النماذج الشعرية التي عبرت عن ذلك؟، وهذا ما سوف نحاول الإجابة عليه.

2- السّجن والشعر:

2-1- تجربة السّجن في الشعر العربي القديم:

امتدت كتابات السّجن من العصر القديم حتى عصرنا الحاضر، ومما وصلنا من الشعر في ذلك من الشعر الجاهلي (لطرفة بن العبد) الذي "زعم بعضهم أنه كان ابن عشرين سنة لما قتل، وذكر أن موته كان في سنة 564م، وسبب قتله خلافه مع الملك عمرو بن هند قيل بسبب هجائه له وقيل بسبب تشبيبه بأخته، وقيل بسبب وشاية من عبد عمرو، فأمر عامله على البحرين وهجر بقتله، فتريث العامل في قتله وأودعه السجن لصلة قرابة تربطه به" [5]، ويقول طرفة في السّجن يلوم أقاربه وخلانه على اجتنابهم له، فثار ناقدًا عاتبًا لهم على نكرانهم وخذلانهم له:

أسْلمَنِي قَومِي، ولم يَغضَبوا لِسَوْءةٍ، حلّتْ بهمْ، فادحَهْ
كـلُّ خليلٍ كُـنتُ خـاللتُهُ لا تـركَ اللَّهُ لــه واضِحـهْ[6]

هكذا كان واصفًا لوحدته وغربته النفسية وذاته المتألمة في السّجن الذي كان قابعًا بين جدرانه التي ضيقت على حريته، الوحدة التي جعلته شخصًا حاقدًا ناقمًا على الأهل والأصدقاء الذين خذلوه ولم يقوموا بأي أمر لأجله من أجل تحريره وتركوه في غياهب الحزن ينتظر موته القريب.

ومن أقواله أيضا وهو في السّجن يخاطب (عمرو بن هند) في قصيدته التي عنونها بـ (خذوا حذركم) بعدما حكم عليه بالموت:

ألا اعْتزِليني اليومَ يا خَوْلَ أو غِضّي فقَد نَزَلَـتْ حدبــاءُ مُحْكَــمةُ العـضِّ
أبا مُنْذِرٍ ! كـانَتْ غَـرُورًا صَحيفتـي ولم أُعطِكُمْ بالطوْعِ مــالي ولا عِرْضي
هُما أورداني المـوت عمْدًا وجَـرّدا على الغدرِ خَيلًا ما تمَـلُّ من الركـضِ [7]

طلب (طرفة) في هذه المقطوعة الشعرية من محبوبته (خولة) اجتنابه وتركه لأنّه أصبح ذا نهاية لا مفر منها وهي نهاية الموت المؤكدة، فما من أمل فيه لأنّه فقد حريته في التصرف في نفسه، لأنّه مسلوب الحرية، وبعد ذلك سار مخاطبًا (أبا منذر) عمرو بن هند " مستغربًا، متعجبًا من الكتاب

الذي أرسله معه إلى عامل البحرين وأنه كان خدعة انطلت عليه فأودع السجن مكرهًا"[8]، ثم عمد واصفًا في نهاية قوله من ساقه إلى الموت وكان سببًا في الحالة التي هو فيها وهما (عمرو بن هند وعبد عمرو) اللذان غدرا به وزجا به إلى الهلاك.

وما وصلنا أيضًا من أدب السّجون قصائد للشاعر "عدي بن زيد العبادي" فقد " كان رجل علم وسياسة وفروسيّة، كان تميميًا نصرانيًا من أهل الحيرة، تولى مناصب رفيعة المستوى في بلاط الأكاسرة، وبلاط المناذرة في الحيرة تزوج بنت الملك النّعمان" [9]، لكن بسبب المحبطين له ممن حوله كثرت الأقاويل عليه بكلامه في النعمان مما جعله يزج به في أحد سجونه، وبقي في السّجن مدة طويلة بسبب ذلك، لذا نجد معظم شعره يذكر فيه سجنه وجل قصائده موجهة إلى النعمان شاكيًا له حاله، يقول:

أبْلغِ النُّعمانَ عنِّي مَأْلُكًا   قَوْلَ مَنْ خافَ اظْطنانًا فاعتَذَرْ
إنَّني واللهِ فاقبَلْ حَلْفَتي   لأَبْيــلٌ كلَّـما صَلَّــى جَـأَرْ [10]

ويقول في موضع آخر يفند ما قيل عنه عن الملك معبرًا عن إخلاصه له:

أَلا مــن مُبْلِــغُ النُّعْمــانَ عَنِّي   وقد تُهْدَى النَّصيحَةُ بالمَغيبِ
أتاكَ بأنَّني قَد طــالَ حَبْســي   فَلَمْ تسْأَلْ بِمَسْجُـونٍ حريـبِ [11]

لقد خيمت بذلك كل من صفتي الحزن والأسى على شعر عديّ بن زيد العبادي في فترة سجنه ويرجع ذلك إلى طول الفترة التي قضاها به التي أنسته طعم الحياة الهنّي، فدخل في دوامة من الكآبة على حاله الذي وصل إليه من جراء الغدر والكره الذي كان يكنه له البعض، ومن الظلّم الذي تعرض له من قبل الملك النعمان، الذي لطالما ناجاه في أشعاره بأنّه بريء مما نسب إليه لكن بدون جدوى.

وفي صدر الإسلام نذكر ممن سجنوا "الحطيئة" الذي كان يستخدم الهجاء وسيلة لابتزاز الناس فلم يسلم منه أحد حتى أهله، فكان هجاؤه سببًا في سجنه، يقول في هجاء له:

ما كانَ ذنب بغيضٍ أن رأى رجلًا   ذا حاجةٍ عاش في مستوعرٍ شاس
جــارًا لقــومٍ أطالــوا هُون منزلــه   وغــادروه مقيمًــا بيــن أرمــاس [12]

ويقول بعدما سجن يستعطف عمر بن الخطاب بعدما ضاقت به السبل في السّجن ومن أبياته التي قالها في السّجن في ذلك :

أعـوذُ بِجدِّك إنّـي امـرؤٌ سقتني الأعادي إليك السِّجالا
فإنّك خيرٌ مـن الزّبرقـانِ أشـدُّ نكـالاً وأرجـى نـوالا
تحنّن عليّ هداك المليكُ فـإنّ لـكـلّ زمـانٍ رجـالا [13]

حاول الحطيئة التهرب مما نسب إليه ملقيًا اللوم على الوشاة الحساد الذين يتمنون له الشرّ في حياته، فأنشد هذه الأبيات له حتى يلين قلبه عليه لكن لم ينل ما يصبو إليه، "فلجأ إلى أسلوب آخر من الاستعطاف، لإطلاق سراحه، يخاطب عمر، الخليفة العادل، الذي يعتبر نفسه مسئولا أمام الله عن كل فرد من أفراد رعيته وعليه أن يوصل إلى كل ذي حق حقه، فكأن الحطيئة يناقشه: ماذا تقول لأطفال صغار تركتهم بأرض لا ماء فيها ولا شجر وليس عندهم ما يقويهم"[14].

ويقول واصفًا هذا المعنى من كلامه:

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ حُمرِ الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ
غيَّبت كاسبُهم في قعْرِ مُظلمةٍ فاغفرْ عليك سلامُ الله يا عمرُ[15]

فأطلق عمر بعد هذا القول سبيل الحطيئة بعدما لان قلبه عليه من خلال توصيفه الاستعطافي لحاله الذي يعاني منه في السّجن من وحدة وغربة وألم وأخذ عليه عهدًا أن لا يهجوا أحدًا من أهله أو المسلمين.

ومن الشعراء أيضًا من ذاقوا مرارة السّجن لنفس الأسباب "الفرزدق ت114 هـ" الذي عاش حياته متنقلا بين الخلفاء والأمراء يمدح واحدهم ثم يهجوه ثم يمدحه وكان مغرورًا شديد الاعتداد بنفسه وبقومه، مما دفعه للإسراف في الهجاء، لذلك ساءت علاقته بكل ولاة العراق، ولم يسلم من هجائه منهم أحد، ومن قصائده التي كانت سببا في سجنه قوله في مدح زين العابدين (علي بن الحسين) تعبيرًا منه عن حبه الكبير لأهل بيته وقومه[16]، وقال يهجوه بعد ذلك قائلًا:

أتحبسني بيـن المدينـة والتـي إليها قلوب الناس يهوي منيبها
يقلب رأسًا لم يكن رأس سيّدٍ وعينًا له حـولاء بــادٍ عيـوبهـا[17]

لكن سرعان ما خارت قواه في السّجن ولم يحتمل مرارته فراح يقول من القصائد المدحية الواحدة تلوى الأخرى حتى يتخلص ممن هو فيه، يقول:

نَمَتْكَ قُرُومُ أَوْلَادِ المُعَلَّى وأبْنَــاءُ الـمَسَــامِعَةِ الكِــرَامِ

تَخَمَّطُ فِي رَبِيعَةَ بَيْنَ بَكْرٍ وعَبْدِ القَيْسِ فِي الحَسَبِ اللُّهَامِ [18]

لكن مديحه لم يأت بنتيجة وأصبح في موقف الضعيف والدفاع عن حاله يسترحم من كان يطعن في ظهورهم بالهجاء، ويقول في السّجن وهو يصف ما آل إليه حاله من جراء سجنه:

أرى السّجن سَلاني عن الرَّوعَةِ التي إلَيْهَا نُفُوسُ المُسلمِيـنَ تَحُـومُ

عَجِبتُ من الآمالِ، والمَوتُ دونَهـا وماذا يَرَى المَبْعوثُ حينَ يَقُومُ[19]

أما في العصر الأموي نذكر "يزيد بن مفرغ الحميري"، الذي " كان حميريًا من عرب اليّمن وكان منقطعًا إلى آل زياد بن أبيه يمدحهم ثم انقلب عليهم، وأخذ يهجوهم سرًا فعلموا بذلك فحقدوا عليه، فانقلب هو الآخر عليهم وهجاهم علنًا، وقد حبسه عبيد بن زياد"[20]، فكان له أشد العقاب من زياد وقومه فذاق العذاب على ما قاله فيهم من شعر، ومن أقواله الشّعرية في هجاء ابن زياد الذي نعته بالبخل مما أثار غضب زياد عليه:

أبلغ قُرَيْشًا قَضَّها وقَضيضَها أَهلَ السَّماحَةِ والحُلـومِ الراجِحَـهْ

أَنّـي ابتُليتُ بحيـَّةٍ ساوَرْتُهـا بيَدٍ لَـعَمْري لم تكُـنْ لـي رابحَـهْ

صَفَقَ المُبخَّلُ صَفقَةً مَلْعونَةً جَرَّتْ عليه منَ البـلايـا فـادِحـهْ[21]

بعد ذلك كان جزاؤه السّجن على ما نظمه من أقوال ضدّهم، ومن أقواله الشّعرية التي نظمها في السّجن يقول:

أيَّ بَلْوى مَعيشَةٍ قــد بَلَــوْنا فَنَعِمْنا ومــا رَجَوْنـا خُـلــودا

وَدُهـورٍ لَـقينَنـا موجِعـاتٍ وزمــانٍ يُكسِّــرُ الجُلْمـودا

فصَبَرْنـا علـى مَواطـنِ ضيقٍ وخُطوبٍ تُصَيِّرُ البيـضَ سـودا[22]

هذه الأبيات من أروع ما قاله ابن مفرغ في وصف محنّته التي أبتلي بها أشد ابتلاء، فتجده يتساءل بين جدران السّجن الموحشة، ألست من البشر؟ حتى أصبر على مثل هذا العذاب الرهيب

الذي لا يطيقه أحد، وهل تراني من الجن أم خلقني الله من الحديد الذي لا يفل؟، وهذه التساؤلات ما هي إلا تعبير عن روحه التي أصبحت من قسوة الحياة عليه مليئة بالكثير من الألمّ.

أما في العصر العباسي وبسبب انتشار القهر السياسي، الذي مسّ العديد من الجوانب الاجتماعية والثقافية والمفاهيم الفكرية للشعوب آنذاك، فكان وسيلة لزرع كل السبل القمعية في الحياة العامة، وشلّ العديد من الالتزامات الوطنية، فنتج عن ذلك عدّة فئات ضدّ هذه التغيرات والاحتكارات لحرية وضوابط الحياة الإنسانية، والمتتبع لمجمل " الأحوال العامة في هذا العصر يجد المسوّغات العديدة لنمو ظاهرة شعر السجون، فهو بدوره لم يخلُ من الحروب والإرهاب والقمع والثورة والتمرد، وهذه بدورها لم تخل من شعراء قاموا بها أو أيّدوها فكان نصيبهم السجن"[23]، ومن الشعراء الذين عانوا في معتقلات العباسيين الشاعر علي ابن الجهم، الذي ثار على السلطات الحاكمة فكان جزاءه السّجن والنفي بعدها كما ذكرنا سالفًا من أشعاره في المنفى، ومن قصائده الشّعرية وهو في السّجن:

قالتْ حُبِسْتَ فقلتُ ليسَ بِضائرٍ حَبْسِي وأيُّ مُهَنَّدٍ لا يُغْمَدُ
أوَ ما رَأَيتِ اللَّيْثَ يَأْلَــفُ غِيلَــهُ كِبْرًا وأَوْباشُ السِّباعِ تَرَدَّدُ[24]

من وراء القضبان يعبّر الشاعر فيها عن عزّة النفس التي اجتاحت وجدانيته وموقفه التفاخري بحاله رغم تآمر أعدائه عليه والوشاية به، فوقف اتجاه ذلك موقف الأسّد الرافض للرضوخ والانحناء مهما طاله من أذى.

ويقول في أبيات أخرى من نفس القصيدة يجعل فيه السّجن مكانًا يكرم فيه الكريم ويرتفع شأنه به فهو مكان لذوي الشأن العالي ترتفع به المكارم وليس للضعفاء، وأنّه مهما طال به البلاء فإن بعد الصبر راحة ليجعل بذلك من مأساته راحة حتى لا يكون في موضع الضعيف:

كم منْ عليلٍ قَدْ تَخطَّاهُ الرَّدى فنجا ومــاتَ طبيبُهُ والعُــوَّدُ
صَبرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ يُعْقِبُ راحــةً وَيَدُ الخليفةِ لا تُطاولُهــا يَــدُ
والحبسُ ما لــم (تغْشَهُ) لِدَنيَّــةٍ (شَنعاءَ نعْمَ) المنْزِلُ (المُتَوَرَّدُ)
بيتٌ يُجَـدِّدُ للكريــم كَرامــةً ويُــزارُ فيــهِ ولا يـزورُ ويُحْفَـدُ[25]

2-2- شعر السّجون في الأدب العربي الحديث:

عرّف الشعر العربي في تاريخه الحديث جرأة في تناوله لقضايا الوطن وبالخصوص بعد سقوط أحلام الوحدة وفشل الأنظمة العربية في تحقيق وعدها في بناء وطن عربي كبير متماسك وفشل كل الأمم في استرداد حق الفلسطينيين، وما يستوقفنا من شعراء السّجون في الأدب العربي الحديث الشاعر "محمود درويش" الفلسطيني الأصل الذي قاوم الاحتلال الإسرائيلي وأيّد العمل السياسي والثوري من خلال شعره، ومن أقواله وهو يعبّر عن حنينه وشوقه الكبيرين لأحبابه وهو بعيد مغترب عنهم بين جدار السّجن، يقول في ذلك:

صدّى راجعٌ، شارعٌ واسع في الصدى
خُطًى تتبادَلُ صَوتَ السُّعَال، وتَدْنو
منَ الباب، شَيئًا فشيئًا، وتنأَى
عن الباب، ثمَّةَ أَهلٌ يزُورُنَا

...

وزنزانتي اتَّسعتْ شارعًا شارعين: وهذا الصدى
صدى بارحًا سانحًا، سوف أخرُجُ من حائطي
كما يخرج الشَّبحُ الحُرُّ من نفسه سيِّدا[26]

صوّر الشاعر محمود درويش بقوله هذا ذاته التي كانت تعاني من الألّم بين تلك الجدران والتي كانت تحن إلى الحرية من خلال تمثيله لمختلف الأصوات التي كان يسمعها في فترة سجنه.

وأيضًا الشاعر "مفدي زكريا" شاعر الثورة الجزائرية الذي سّجن بدوره من قبل السلطات الفرنسية الاستعمارية بسجن بربروس، الذي عبّر فيه عن حالاته النفسية التي تتمثل في حبه لوطنه وحنينه لأهله، وظهر ذلك من خلال أشعاره التي زخرت بكل روح الوطنية، ومن أقواله الشعرية نذكر قوله في قصيدته التي عنونها بـ "زنزانة العذاب رقم (73)" والتي نظمها لما سجن في زنزانة مظلمة:

يا سجن، ما أنت؟ لا أخشاك تعرفني   من يحذِقِ البحر لا يُحدق به الغرق
إني بلوتك في ضيق، وفي سَعة   وذقت كأسك، لا حِقدٌ ولا حنق
أنام ملءَ عيوني، غبطة ورضى   على صياصيك، لا هم ولا قلق[27]

هكذا كان الشاعر هو لسان أبناء وطنه للتعبير عن الحياة المتدنية التي وصلوا إليها، بسبب الاعتقالات والمؤامرات التي فرضتها السياسة الاستعمارية على كل مواطن جزائري ينادي بالحرية ونيل حقوقه الوطنية، فكان قوله هذا مثالًا للتحدي والإيمان بالنصر القريب ذلك أن شعر الثورة هو شعر أمل وتفاؤل والشاعر يرى في سجنه كسرًا لجدار الخوف.

ويقول في موضع آخر يؤيد المقاومة الجزائرية يذمّ الاحتلال الذي جعل من الجزائريين بين كفتي الضياع والدماء وندّد بالاستقلال عن حكم الظّالمين في قصيدته التي عنونها بـ "حروفنا حمراء":

لاذ بالانتخاب (مُولى) سفاحا   في بـلاد تسيل فيهـا الدمـاء

أيُّ معنًى لمجلسٍ، دون حكمٍ   وطنّي، عـلـى يديْـهِ القضـاء؟[28]

صوّر مفدي زكريا من خلال أشعاره في السّجن صورة الجزائر التي ملئت بالدماء والدمار خلال فترة الثورة والاحتلال الفرنسي، من خلال ما آلت إليه حالها بسبب الاحتلال الطاغي من دمار وخراب وقتل وتنكيل في حق الجزائريين، وجسدها في قالب شعري فنّي عبر فيه عن حبه للجزائر الحبيبة وحريته التي حرم منها بين قيود الاستعمار الظّالم.

وأيضًا من الشعراء الذين صوروا لنا محنّة السّجن ومدى الأذى النفسي الذي يعتري صاحبه الشاعر اليمني الأصل عبد الله البردوني، الذي سّجن هو الآخر لما كان له من انتقادات نتيجة لوقوفه ضد النظام الذي تندد به السلطة الحاكمة اليمنية، وهاهو يصور لنا في أبياته هذه من قصيدته (شاعرٌ ووطنُهُ في الغربة) حاله بعدما اعتبر من المفسدين في المجتمع، يقول:

ألأنّي يــا موطــني أتــجزّا   قِطعًا من هـواكَ في كُـلِّ رُقْعَة

نعتوني مُخرِّبًا، أنـتَ تـدري   أنَّها لَـنْ تكـونَ آخــرَ خُدْعَـة [29]

هكذا عبّر البردّوني عن حالة الغربة التي يعانيها بعد نزوله بالسّجن، وقد صوّر ذلك في قصيدته التي عنونها بـ (ليالي السّجن):

نزلتْ ليالي السجن بين جوانحي   فحملتُ صدري للهمومِ ضريحـا

وجثَتْ على قلبي كأنّي صخـرةٌ   لا تفهــمُ التنــويهَ والتلميحــا[30]

مثلت هذه القطعة الشّعرية هموم الشاعر وجراحه التي كانت ملازمة له في فترة سجنه، والتي أثقلت روحه وجعلت منه أسيرًا وحيدًا في السّجن، الذي يعدّ أقصى ضريبة دفعها نظرًا لموقفه الوطني

ودفاعه عن حرية الآخرين، وقد أبرز هذا اللون من الشعر بعض الخصوصية في الوصف الذي يميل إلى الدّقة في استعراض التفاصيل والرجوع إلى النفس ومناجاتها.

وبذلك تكون معظم أشعار المساجين من هذا الطرح هي أشعار كلها تمثيل لروح الوطنية وحب الحريّة، ومحاولة تبديد ظلمات المجتمعات التي كان الشعراء ينتمون إليها سواء في العصر القديم أو الحديث، فكان منهم بعد حرمانهم من حرياتهم إلا أن يحاربوا مستوطنيهم ويعبروا عن ذواتهم المقيدة بكتاباتهم الشعرية ويمثلوا أوطانهم حقّ تمثيل لها.

3- السّجن والرواية:

عرفت مشاهد السّجن وموضوعاته رواجًا في الإبداع الروائي الذي تتمثل عناصره السردية من خلال مجموعة الأحداث السياسية والاجتماعية، يكون الكاتب فيها ممثلًا لمختلف أشكال القمع والدمار التي يعاني منها الفرد العربي، فيحرر كتابات عن تلك الآلام والاستبدادات والتي يدعو من خلالها إلى طلب نيل الحرية والحقوق الإنسانية إما تمثيلا لواقع معاش في السّجن من طرفه أو حالة لشخص ما أو تصويرًا لعالم السّجن، ومقدار الألم والفقد والبشاعة التي يحيا بها السجناء، وذلك يكون طبعًا من خلال توظيفه لمجموعة من الشخوص التي تحرك عمله الأدبي وتحقق وظيفة نصه وغايته الروائية[31].

والكثير من الروايات التي يتمحور موضوعها حول تيمة السّجن هي روايات ترصّدت القهر ومحاولات طمس هوية الإنسان من الوجود، وعكست جوانب مغفلة ومهمشة، وخلدت الألم الإنساني، ومواطن القمع والاستبداد لذاته بين الآخرين، وعليه فإن هذا الفنّ الروائي شّكل من أشكال الخلاص الذي يحقق به الإنسان حريته[32].

وأصحّ مثال على هذا النوع من الروايات رواية (شرق المتوسط) لعبد الرحمن منيف التي تحدث فيها عن كل أنواع العذاب الذي يعاني منه السّجين العربي من قلة طعام ووسائل عيش بين جدرانه، الذي طمسّ من خلاله مبتغى الإنسانية، ورواية صنع الله إبراهيم (شرف) التي وصف من خلالها ملامح الاستبداد والانتهاكات التي خيمت على النظّام المصري، وتدور أحداث هذه الرواية عن شاب يدعى شرف دخل السّجن بسبب قضية قتل تمس شرفه، "ومن خلال الأحداث التي تدور مجملها في السّجن يفضح صنع الله إبراهيم كل مظاهر الحيف والفساد والاضطهاد وكل

الانتهاكات والاخلالات التي يعج بها المجتمع المصري حيث يغيب الانتماء إلى الوطن مقابل الولاءات الشخصية"[33].

إضافة إلى هذه الروايات هناك العديد من شبيهاتها التي تصف ما وصل إليه العالم العربي جراء الحروب، مما نتج عن ذلك سّجن الكثيرين، وهي كلها روايات تفضح الأنظمة إذ يصبح المسكوت عنه أهم موضوع يبحث فيه كتاب الروايات، مثل رواية مصطفى خليفة (القوقعة)، ورواية مليكة أوفقير (السّجينة) ورواية أيمن العتوم (يا صاحبي السجن)، ورواية أحمد زائف (البوابة السوداء) ورواية الطاهر بن جلول (تلك العتمة الباهرة)[34].

4- خاتمة:

نخلص إلى نتيجة مفادها أن أدب السّجون هو الذي يمثل الأدب الذي نظم بين جدران السّجن، وله نتيجة واحدة وهي (الاغتراب) بكل أنواعه النفسية والاجتماعية والذاتية، والألم الذاتي والشعور بالوحدّة التي تقيد الشخص وتجعله أسيرا لآلامه بعدما تقييد حريته بالسّجن.

---

[1] – عباس محمود العقاد: عالم السدود والقيود، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص109.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص109.

[3] – حسن أبو غدة: أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام، مكتبة المنار، الكويت، ط1، 1987، ص39.

[4] – عباس محمود العقاد: عالم السدود والقيود، المرجع السابق، ص33.

[5] – واضح الصمد: السجون وأثرها في الآداب العربية (من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص105.

[6] – طرفة بن العبد: الديوان، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002 ص17.

[7] – المصدر نفسه، ص53-54.

[8] – واضح الصمد: السجون وأثرها في الآداب العربية، مرجع سابق، ص107.

[9] – بن عمر حليمة: مرايا السّجن في الشّعر العربي المعاصر (بدر شاكر السيّاب نموذجًا)، رسالة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث والمعاصر، جامعة تلمسان، كلية الآداب واللغات، 2012/2011، ص13.

[10] – عدي بن زيد العبادي: الديوان، تحقيق: محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، العراق، دط، 1965 ص61.

[11] – المصدر نفسه، ص40.

[12] – الحطيئة: الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص118.

[13] – المصدر نفسه، ص164.

[14] – واضح الصمد: السجون وأثرها في الآداب العربية، مرجع سابق، 133.

[15] – الحطيئة: الديوان، مصدر سابق، ص107- 108.

[16] – ينظر: واضح الصمد: السجون وأثرها في الآداب العربية، المرجع السابق، ص141.

[17] – الفرزدق: الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص6.

[18] – الفرزدق: الديوان، ص619.

[19] – المصدر نفسه، ص587.

[20] – بن عمر حليمة: مرايا السّجن في الشّعر العربي المعاصر ، مرجع سابق، ص14.

[21]– – زيد بن مفرغ الحميري: الديوان، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط1، 1975، ص91.

[22] – زيد بن مفرغ الحميري: الديوان، ص103.

[23] – سالم المعوش: شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2003..

[24] – علي بن جهم: الديوان، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، دط، دت، ص،41-42.

[25] – علي بن جهم: الديوان، ص44-45.

[26] – – محمود درويش: الديوان (الأعمال الأولى)، رياض الريّس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط1،2005، ص370-171.

[27] – مفدي زكريا: اللهب المقدس، موفم للنشر والتوزيع، وحدة الرغاية، الجزائر، ط3، 2000، ص20-21.

[28] – المصدر نفسه، ص53- 54.

[29] – عبد الله البردُّوني: الديوان (الأعمال الشعرية)، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، المجلد الأول، ط4، 2009، ص663.

[30] – المصدر نفسه، ص160.

[31] – ينظر: علاوة ناصري: البناء الفني لشعر السجون في المغرب في فترة الاحتلال الأوروبي، أطروحة دكتوراه علوم في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب والفنون، 2013/2012، ص36.

[32] – ينظر: نعيم شريف: السجن والرواية (خيمياء الألم وخلوده)، موقع https://annabaa.org، تاريخ الولوج: 2019/10/25، الساعة 18:17.

[33] – موقع: https://meemmagazine.net، تاريخ الولوج: 2019/12/02، الساعة 18:48.

[34] – ينظر: علاوة ناصري: البناء الفني لشعر السجون في المغرب في فترة الاحتلال الأوروبي، مرجع سابق، ص39.

– قائمة المصادر والمراجع:

1- الفرزدق: الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

2- طرفة بن العبد: الديوان، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002.

3- الحطيئة: الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

4- بن عمر حليمة: مرايا السّجن في الشّعر العربي المعاصر (بدر شاكر السيّاب نموذجًا)، رسالة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث والمعاصر، جامعة تلمسان، كلية الآداب واللغات، 2012/2011.

5- حسن أبو غدة: أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام، مكتبة المنار، الكويت، ط1، 1987.

6- زيد بن مفرغ الحميري: الديوان، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط1، 1975.

7- سالم المعوش: شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2003.

8- عباس محمود العقاد: عالم السدود والقيود، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، دت.

9- عبد الله البردُّوني: الديوان (الأعمال الشعرية)، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، المجلد الأول، ط4، 2009.

10- عدي بن زيد العبادي: الديوان، تحقيق: محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، العراق، دط، 1965.

11- علاوة ناصري: البناء الفني لشعر السجون في المغرب في فترة الاحتلال الأوروبي، أطروحة دكتوراه علوم في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب والفنون، 2013/2012.

12- علي بن جهم: الديوان، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، دط، دت.

13- محمود درويش: الديوان (الأعمال الأولى)، رياض الريّس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط2005،1.

14- مفدي زكريا: اللهب المقدس، موفم للنشر والتوزيع، وحدة الرغاية، الجزائر، ط3، 2000.

15- موقع: https://meemmagazine.net، تاريخ الولوج: 2019/12/02، الساعة 18:48.

16- نعيم شريف: السجن والرواية (خيمياء الألم وخلوده)، موقع https://annabaa.org، تاريخ الولوج: 2019/10/25، الساعة 18:17.

17- واضح الصمد: السجون وأثرها في الآداب العربية (من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1995.